أبعاد البناء الروحي في المشروع الإصلاحي الباديسي

د. محمد بن سمينة *

يحاول هذا البحث أن يتلمس طريقه نحو معرفة بعض ما كان من إسهامات الإمام ابن باديس في ميدان التأصيل لمشروع النهضة في الجزائر بهدف إنهاض الأمة من كبوتها وتحريرها من أغلال الهيمنة والسيطرة الأجنبية. وإن الناظر في آثار الإمام يلحظ أن أبرز مقومات مشروعه الدعوي الحضاري، إنما تكاد تتركز في هذه الكليات الثلاث:

- القواعد المعنوية: الروحية والعقلية.
- المقومات السلوكية: الفردية والاجتماعية.
- التطلعات السياسية: الوطنية والقومية.

وإن بحثا في مجلة لا يمكن أن يتسع صدره لتناول هذه الجوانب مجتمعة، ولذلك فإن النقاش في هذا العمل سيقتصر ـــ مراعاة للمقام ـــ على معالجة جزئية واحدة من جزئيات الكلية الأولى -القواعد المعنوية: الروحية والعقلية- وبخاصة ما يتصل منها بالعقيدة الإسلامية تصحيحا وتمكينا، وذلك بهدف التعرف على ما كان من جهاد ابن باديس في التمكين لهذه العقيدة في حياة الأمة وإبراز فاعليتها في إقالتها من عثرتها

* أستاذ بجامعة الجزائر

ورسم الطريق أمامها لبلوغ أهدافها في التحرر والتقدم، ويمكن أن يدور الحوار لمناقشة هذه الجوانب من خلال آثار الإمام حول العناصر الآتية:

أولا: جذور الفكر الإصلاحي في الجزائر:

يمكن القول أن الجزائر قد عرفت بعض الأفكار الإصلاحية التي نادى بها بعض علمائها منذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين، وذلك بدعوتهم إلى الاجتهاد وتحرير العقل ونبذ التقليد، مما قد يدخل في صميم ما دعا إليه أعلام النهضة الحديثة في العالم العربي الإسلامي[1]، ولعل من أبرز من يمثل هذا الاتجاه في هذه الفترة المذكورة من الجزائريين هؤلاء الأعلام: المصلح عبد الكريم بن الفقون القسنطيني (1073/938هـ)[2] صاحب كتاب "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية". والمصلح محمد بن محمود الشهير بابن العنابي (1851/1775) صاحب كتاب "السعي المحمود في نظام الجنود"، والمصلح محمد بن علي السنوسي (1859/1787)، والأمير عبد القادر (1883/1807) وغيرهم. وظلت هذه الجذور مغروسة في أعماق هذه التربة الطيبة، ولم تستطع عواصف الاحتلال أن تقتلع هذه الجذور من مواقعها بالرغم مما حبلت به تلك العواصف الهوجاء من مظالم وأحقاد، واستمرت شجرة تلك الأفكار تتغذى من جذوة روح الأمة إلى أن أينعت من جديد ثمارها على أيدي كوكبة من أعلام أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من أمثال: الشيخ عبد القادر المجاوي (1848/1914)، والشيخ صالح بن مهنا (1910/1854)، والشيخ محمد مصطفى بن

---

1 د/ أبو القاسم سعد الله: منطلقات فكرية ص 65 وما بعدها. الدار العربية للكتاب ليبيا – تونس 1982.

2 ينظر ترجمته في تعريف الخلف في رجال السلف. أبو القاسم الحفناوي ط 1 مصورة مؤسسة الرسالة بيروت 1982.

الخوجة (1865/ 1917)، والشيخ عبد الحليم بن سماية (1886/ 1933)، والشيخ المولود بن الموهوب (1866/ 1939)، والشيخ محمد بن شنب (1929/1869) وغيرهم. إلا أن مبادرات هؤلاء كانت تتحرك في دائرة محدودة وذلك لأنهم كانوا مرتبطين بالوظيف من نحو، وغير منضوين من نحو ثان، تحت لواء هيئة تضبط نشاطهم وتحدد أهدافهم. مما جعل أثرهم في هذا المجال لا يكاد يتجاوز حدود الإرهاص باليقظة العامة والتمهيد لها، ومهما يكن من ذلك فقد كانت جهود هؤلاء الأعلام الإرهاصات الأولى على عتبة النهضة الفكرية والأدبية، وبذلك كانت تلك الجهود « عملا شريفا صالحا لأنهم مهدوا السبيل لأخلافهم فلولا جهودهم وسعيهم لما وجد (الأمير خالد) بعد الحرب الأولى من الشعب الجزائري عضادة ولا نصرا ولا وجد الشيخ عبد الحميد بن باديس في نفس ذلك الوقت عقولا مهيأة لفهم دعوته البعيدة المرامي وإدراك جهاده في سبيل تحرير هذا البعد العربي الإسلامي[1]».

وكان هذا النشاط الإصلاحي قد شهد بعض الحيوية و الفاعلية في أعقاب الحرب الأولى على إثر عودة ابن باديس إلى أرض الوطن من رحلة الطلب بتونس، ومن رحلة أداء فريضة الحج بالبقاع المقدسة بالحجاز، وعكوفه في هذه الآونة على مشروعه التربوي الإصلاحي الذي يمتد على أكثر من صعيد: دعويا وتربويا، اجتماعيا و ثقافيا، اقتصاديا وسياسيا.

ولم يمض على هذه الانطلاقة الباديسية إلا أمد يسير حتى شهدت الجزائر في بداية العقد الثالث من القرن العشرين عودة بعض علمائها الذين كانوا يقيمون في بعض البلاد العربية، وكان من بينهم: الشيخ الطيب العقبي (1960/1890) والشيخ محمد البشير الإبراهيمي (1965/1889) في البقاع

---

[1] سعد الدين ابن شنب مجلة كلية الآداب جامعة الجزائر ع 1 ص: 66 ـ 1964 .

المقدسة بالحجاز، والشيخ أحمد توفيق المدني (1983/1905) الذي كان يقيم بتونس.

وما انفك هؤلاء الأعلام أن انضموا إلى هذه الحركة ا لوطنية الحضارية الفتية التي وضع ابن باديس أسسها على طريق العمل والنهوض بالأمة. وبدأت على إثر ذلك بوادر حركة نهضة حديثة تنادي بالتغيير وتدعو إلى التجديد، ويؤرخ لذلك (شاهد القرن) الأستاذ مالك بن نبي (1905 / 1973) فيقول « لقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات ابن باديس فكانت تلك ساعة اليقظة، وبدأ الشعب الجزائري المخدر يتحرك، ويالها من يقظة جميلة مباركة[1] »، وقد توجت جهود هؤلاء الأعلام بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 التي أخذت على عاتقها رسالة النهوض بالأمة .

ثانيا :فاعلية العامل العقدي في علاج أدواء الأمة :

كان ابن باديس قد أدرك وهو يقود حركة الأمة هذه في خطواتها الأولى أن ما تعيشه هذه الأمة في حاضرها من ذل الاستعباد وعلل التخلف ودركات الوهن، إنما يدخل في إطار ما تشهده الأمة في أقطار العروبة والإسلام في العصر الحديث من تدهور حضاري مذهل، وإن مرد ذلك إلى ما انحدرت إليه في قواها الشعورية والفكرية من ضعف في الروح الدينية وجمود في الحياة العقلية وطغيان سلطان الجهل والتقليد وانتشار الظلم والفساد.

ومن ثم كان من المنهجي أن تتوجه العناية نحو معالجة هذه الظاهرة من أصولها وأسبابها الحقيقية وذلك بالقيام بعملية جادة وشاملة، تنطلق من الذات، من العالم الداخلي للإنسان من قلبه وعقله: تصحيحا للعقيدة وتنويرا للفكر وتطهيرا للنفوس وتقويما للسلوك وتحريرا للأوطان .

[1] شروط النهضة ص 30

وقد مضت الحركة الباديسية على هذا الدرب تقود الشعب الجزائري في طريق نهضته بإحياء حركة المجتمع وإعادة بنائه من جديد وتوجيهه وجهة العقيدة الإسلامية الصحيحة، مؤمنة أن هذه السبيل هي الوسيلة المثلى التي تستطيع أن توقظ بها ضمير الشعب وتنبه روحه وتدفعه من ثم إلى وعي ذاته والمحافظة على شخصيته والإقدام على تحمل أعباء تحرره، معتقدة أن هذا الاستقلال الشخصي هو الذي يعده إلى الاستقلال السياسي لأن التغيير الناجح في حياة المجتمعات البشرية هو ذاك الذي ينطلق من النفس الإنسانية مصداقا لقوله تعالى: « **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** »[1].

وانطلقت هذه الحركة الوطنية الحضارية من هذه القاعدة الإلهية تدعو إلى « *صحة العقيدة واستنارة الفكرة وطهارة النفس وكمال الخلق واستقامة العمل* »[2]، وكان إيمان هذه الحركة كبيرا بأهمية البناء الروحي والإصلاح الديني في علاج الأمة من أدوائها كما كان إدراكها قويا بأن ليس من سبيل يبرئها من أمراضها كالمنهج الإلهي القائم على التبصرة القرآنية، وهدي السنة النبوية، وعمل السلف الصالح «لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه العذاب المنوع الذي نذوقه و نقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن وإلى علمه و هديه و بناء العقائد والأحكام والآداب عليه و التفقه فيه وفي السنة النبوية شرحه و بيانه[3]» .

وكان من أثر ذلك أن انقشعت حجب ذلك الليل البهيم، وانجلى ظلامه على طلائع نهضة مباركة، فسارعت الأمة إلى كتابها وأقبلت على هديه، تداوي ببلسمه عللها، وتسترشد بأنواره في طريقها، وتنظر من خلاله

---

[1] سورة الرعد الآية : 11 .

[2] ابن باديس : الشهاب ج1 م12 (محرم — أفريل 1936/1355)

[3] ابن باديس حياته وآثاره ج1 : 410 ط 1 إعداد د/ عمار طالبي دار اليقظة العربية دمشق سوريا1967

في كل صغيرة وكبيرة في حياتها «فإذا حدث مرض قلبي أو اجتماعي طلبنا دواءه في القرآن وطبقناه عليه وإذا عرضت شبهة أو ورد اعتراض طلبنا فيه الرد والإبطال، وإذا نزلت نازلة طلبنا فيه حكمها وهكذا نذهب في تطبيقه وتنزيله على الشؤون والأحوال إلى أقصى حد يمكننا»[1].

ويذكر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي بهذا الصدد أن «كل ما في الكون من حقائق ومبادئ ومصالح متنوعة، إنما يدور في فلك هذه القرارات القرآنية الشاملة الكبرى، فهي تظل محيطة بها تابعة لها»[2]، ويؤكد الإمام ابن باديس أن أول من دعا إلى هذا المنهج القرآني في الجزائر، وعمل به في توجيه حركة الأمة على طريق النهضة والتحرر، هم رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قبل أن تظهر هذه الجمعية للوجود «وإن أول من رفع صوته بكلمة الحق في هذا الوطن وبلزوم الرجوع من بنيات الطريق إلى نهج الإسلام الواضح، وبوجوب التماس الهداية من كتاب الله وما صح من سنة رسوله صلى الله عليه و سلم، و ما أثر عن سلف هذه الأمة – رضي الله عنهم- هم رجال هذه الجمعية قبل أن تكون الجمعية جمعية»[3].

إن الدين الإسلامي اختاره الله للناس كافة شرعة ومنهاجا، في كل ما يحتاجون إليه من أمر دينهم وشؤون دنياهم، فحري بهم – وكتابه بين أيديهم – أن يستغنوا به عن كل ما وضع البشر للبشر في القديم وفي الحديث، من مذاهب ونظم، ثم لم يلبثوا أن انقلبوا عليها وراحوا يتخاصمون من دونها. إن الإسلام منهج إلهي يكفل لمن اتبع رضوانه سبل السلام في ظل حياة إنسانية هنيئة كريمة يسعدها تعاون الاجتماع ويعززها

---

1 آثار الإمام ابن باديس 1 ص 258 منشورات وزارة الشؤون الدينية الجزائر 1982

2 أنظر منهج الحضارة الإسلامية في القرآن ص 186 دار الفكر دمشق 1985

3 ابن باديس حياته وآثاره ج3 ص 524 . مصدر سابق .

رخاء العمران، ويرتقي بها حكم العدل والإحسان: «إن الإسلام دين جامع لكل ما يحتاج إليه البشر أفرادا وجماعات لصلاح حالهم و مآلهم فهو دين لتنوير العقول وتزكية النفوس، وتصحيح العقائد وتقويم الأعمال، فيكمل الإنسانية، وينظم الإجماع ويشيد العمران، ويقيم ميزان العدل، وينشر الإحسان، فلا يحتاج بعده إلى ما يتناحر عليه الأوروبيون من مبادئ، أحزاب وجمعيات»[1].

إن جوهر الإصلاح الديني في الإسلام عام يستمد مفهومه من شمولية الإسلام ونظرته المتكاملة للإنسان والحياة و الكون، وهو لذلك لا يقتصر على اهتمامات الإنسان في هذا الميدان دون ذاك وإنما يعنى بمعالجة جميع مقومات الإنسان المعنوية وحاجاته المادية، ابتداء من تصحيح اعتقاده موصولا بممارساته العملية في ميادين الحياة المختلفة، بما يبعث في نفسه الإقبال على الحياة والسعي في تعميرها وطلب أسباب العزة والرقي فيها، ويوفر له في الوقت ذاته ما يقيه ويحميه مما أفرزته المدنية الحديثة من علل وأمراض.

ويوضح الإمام عناصر هذا المنهج مؤكدا من أن حركته، إنما بدأت به أول ما بدأت وأن مجلته "المنتقد" التي دشن بها أول خطوة خطاها في مشروعه الدعوي الإعلامي، قد جاءت من يوم بروزها (02 /07 /1925) « تحمل فكرة الإصلاح الديني بتتريه الإسلام عما أحدثه فيه المبتدعون وحرفه الجاهلون، وبيانه كما جاء في القرآن العظيم والسنة المطهرة وعمل به السلف الصالحون، معلنة أن المسلمين بذلك وحده تصفو عقائدهم وتزكو نفوسهم وتستقيم أعمالهم وينبعثون عن قوة وبصيرة في الأخذ بأسباب الحياة الراقية والمدنية الطاهرة مشاركين لأمم الدنيا في خدمة الإنسانية، وترقية وتوسيع العمران، سالمين مما تشكو منه

[1] آثار الإمام بن باديس ج5 ص 289 – 566.

أمم الحضارة التي غلبت عليها المادية والأنانية»[2]، ويؤكد مرة أخرى على أبعاد هذا المنهج، الذي يعنى بالجانب الاجتماعي والإنساني من أثر العقيدة ويحرص أشد الحرص على هذا التلازم في حياة المسلمين بين تصحيح الاعتقاد وتقويم السلوك، وبين تطلعه إلى الإفادة من معطيات الحضارة الحديثة، ومشاركتهم الأمم الراقية في الأخذ بنصيبهم من المساهمة في حقول العلم والمعرفة وغيرها من نواحي الحياة «وإن إرشاد المسلمين يجب أن يكون - مع تصحيح عقائدهم ونهيهم عن المحرمات وحثهم على الطاعات - إلى المدنية والمحافظة على ملكهم و مباراة الأمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات الحياة[1]»

وقد تمثل الإمام هذا المفهوم الشامل للإسلام، في مختلف معالجاته لقضايا الإنسان وتطلعاته في يومه الذي يحياه هنا، وفي غده الذي ينتظره هناك، فاندمج في قضايا الواقع اليومي للمسلمين وواكب حركاتهم واهتماماتهم وهم ينقلبون في هذا الحقل أو ذاك من حقول الحياة المختلفة.

ثالثا: فاعلية العقيدة الصحيحة في عملية النهضة و التحرر:

لقد كانت سبل العمل ومناهجه متعددة ومتنوعة أمام أعلام الإصلاح، غير أن تركيزهم كان منصبا على قضايا الإصلاح الديني قبل غيره لجملة من العوامل، يأتي في مقدمتها أن هذا اللون من الإصلاح منوط بأسمى ما يميز الإنسان عن غيره من خصائص الوجدان والضمير، لارتباطه بعقيدته، وبفاعلية هذه العقيدة، في توجيه مسار أفكاره وسلوكاته نحو هذا الاتجاه أو ذاك، ومواءمته من نحو ثالث، فطرة الإنسان المسلم وتوجهاته واهتماماته النفسية والفكرية المختلفة. وهذا ما يفسر ما يلحظه الدارس في طريقة معالجة المصلحين لركائز مشروع النهضة، بما يوحي بشيء من إجماعهم على أن أهم هذه الأسس وأنجعها إنما هو

---

[1] ابن باديس حياته وآثاره ج4 ص 197 مصدر سابق

العقيدة الإسلامية (الإصلاح الديني) هذه الدعامة الأولى التي ينبغي أن تتوجه نحوها الجهود، لتدارك ما آلت إليه أوضاع الأمة من انحراف في قواها الإيمانية من نحو، و إبراز مدى فاعلية تلك القوة في توجيه نشاطات الإنسان في مختلف مجالات حياته فردا وجماعة من نحو ثان، لتحقيق الأهداف المتوخاة في النهضة والتحرر و لذلك كان ابن باديس يرى أن «الإصلاح الديني هو المقدمة الضرورية لتحرير الجزائر »[1].

ومن هذا المنطلق كان الخيار وكانت البداية فدخل ابن باديس الميدان العملي عن طريق الإصلاح الديني بعكوفه على مشروعه التربوي الذي رمى من خلاله في وقت مبكر إلى التأصيل الروحي والتجديد الفكري بتركيزه على تصحيح العقيدة، وتزكية النفس وتنوير الفكر، وترشيد العمل. ونص في الميدان النظري على اختياره ـــ عن وعي واقتناع ـــ الخطة الدينية قبل غيرها، لمواءمتها للاستعدادات الفطرية من نحو، ولنجاعتها أكثر من سواها لبلوغ المرامي المرجوة من نحو ثان: «إننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها عن علمٍ و بصيرة، وتمسكا بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النصح والإرشاد، وبث الخير وا لثبات على وجه واحد، والسير في خط مستقيم، وما كنا لنجد هذا كله إلا فيما تفرغنا له من جهة العلم والدين »[2].

وقد نهج هذا المنهج نفسه الإبراهيمي في توجهاته الإصلاحية، مؤكدا على هذا الخيار ذاته « بدأنا هذه الحركات بجنب حركة التعليم الديني العربي، وأطلقنا عليها اسمها الحقيقي وهو (الإصلاح الديني) وهو اسم يهيج أصحاب البدع والضلالات من المسلمين في الدرجة الأولى ويهيج الاستعمار الخارجي في

---

[1] أنظر د/ محمود قاسم : الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ص 24. ط 2 المعارف مصر ب-ت

[2] آثار الإمام ابن باديس ج5ص 286 مصدر سابق . وانظر د/ علي المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ص 161 . بيروت 1983.

الدرجة الثانية، فكان من تفاوت التهيج فسحة سرنا فيها خطوات إلى النجاح»[1]. وإن هذا المنهج الذي يعمد إلى إعطاء الأولوية في العمل الدعوي إلى الجانب العقدي قبل غيره، أصيل في تراثنا وحضارتنا فقد قامت الدعوة الإسلامية على أساسه ثم أخذ به جميع من اشتغل بالعمل الإصلاحي في التاريخ الإسلامي من بعد ذلك، من ابن تيمية إلى ابن باديس، ومن سار على هذا الدرب من قبلهما ومن بعدهما[2].

ويحسن الإلماع إلى أن هذا التوجه في العملية التحررية، بالتركيز ابتداءِ على البناء الداخلي كمرحلة أولى متقدمة على غيرها على طريق منظومة التحرير الكامل، منهاج عام لدى جميع أعلام النهضة الإسلامية الحديثة. ونجترئ بالاستدلال على ذلك بقولين لاثنين منهم، أما أولهما فهو الأمير شكيب أرسلان (1869 - 1946) الذي يؤكد على هذه الحقيقة التي مفادها: أن استقلال الشعوب سياسيا، إنما يقوم على استقلالها الشخصي، وبالمقابل فإن استقلال العالم الإسلامي سياسيا عن الغرب إنما « يجب على كل حال أن يسبقه التجدد الروحي العقلي والعلمي الأدبي، والتربية النفسانية الصحيحة وأنه متى صلحت نفوس المسلمين وزكت وطابت واعتزت وباتت تعاف الذل وتأبى الضيم سهل إذاك كل عمل في سبيل التحرر والاستقلال»[3].

أما ثانيهما فهو الإمام محمد الغزالي (1995/1917) أحد كبار المفكرين المسلمين المعاصرين الذي يؤكد على هذه البديهية بقوله:

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي : آثاره ج4 ص345 ط1 الشركة الوطنية الجزائرية 1972

[2] جمال الدين الأفغاني ــ محمد عبده : العروة الوثقى ص 61 . ط2 دارالكتاب العربي بيروت 1980 .

[3] لوثروب ستودارد تعريب عجاج نويهض و تعليق شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامي ج1ص 264 . ط4 دار الفكر بيروت 1973 .

«و إذا كان أغلب البلاء جاءنا من عند أنفسنا فيجب أن تتجه الجهود إلى الإصلاح الداخلي قبل أن تفكر في ضرب العدو المتربص، فإنها لو هزمت عدوا -فرضا- وبقيت أدواؤها الداخلية على جسامتها فلن يعد ذلك نصرا للإسلام ولن تكون الأمة المنتمية إليه قدوة حسنة للعاملي[1]»، وإنها لكثيرة هي البلدان العربية الإسلامية التي استطاعت في هذا العصر أن تنتصر على أعدائها -الجهاد الأصغر- وتسترد سيادتها على أراضيها، ولكنها لم تستطع أن تنتصر على نفسها -الجهاد الأكبر- الانتصار المطلوب، فظلت بعض عللها على حالها ولعل بعضها قد تضاعف عما كان عليه من قبل، فما علة ذلك وما سببه؟ يظهر أن هذه الانتكاسة ما كانت لتكون، لو كانت تلك البلاد قد استطاعت أن تتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود،من معنى الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر، كما نص على ذلك الحديث الشريف.

إن عوامل الفوز والفلاح في العمل الإنساني، أيا كان ذلك العمل دينيا أو دنيويا، إنما تدرك بمدى وعي هذا الإنسان بحقيقته، وحرصه على نجاحه في مهمة الخلافة المنوطة بكاهله، بما يدفعه إلى كسب ما يساعده على ذلك، ولعل من أبرز ما يكفل له شيئا من ذلك، نجاحه في المحافظة على عنصر التوازن في جميع وجوه حياته بين المطالب الروحية والحاجات المادية، بين الأخذ بتعاليم الدين و الإفادة من حقائق العلم وبين الإيمان الصادق والعمل الصالح وإن هذه الوضعية الحضارية المتردية التي يتخبط في آثارها معظم المسلمين في العصر الحاضر إنما نجمت عن إخلالهم بعامل الاعتدال المنشود - وهو من أهم ما يقوم عليه نظام شريعتهم من ركائز - وانحرافهم عنه

---

[1] - محمد الغزالي: الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ص 55 . دار الهدى الجزائر 1988

إلى الإفراط و الغلو في بعض شؤونهم من جهة، و إلى التفريط والزهد في بعضها الآخر من نحو آخر.

رابعا : الخلاصة

ويمكن القول من هذا المنظور أن أوضاع المسلمين الحاضرة تلك، ما كانت ناجمة عن ضعف رصيدهم العلمي، وقصورهم العقلي فحسب - وهو شيء يصدقه الواقع - بقدر ما كانت نابعة من بعض الدخل في عقائد بعضهم، واعتلال في ضمائرهم و اختلال في أخلاقهم. وإذن فإن شفاء الأمة من هذه العلل وإبرائها من هذه الأسقام، إنما ينبغي أن يسترشد فيه القائمون على هذه العملية بما يقوم عليه أسس المنهج الإسلامي في معالجة أدواء الإنسان فردا وجماعة والنهوض بحياته والأخذ بيده على طريق ما يحقق له فوزه وسعادته في معاشه ومعاده.

ونخلص في ختام هذه الكلمة إلى القول بأن جهاد الإمام ابن باديس في حقل البناء العقدي والإصلاح الديني لم يقتصر فحسب على إسهاماته في التمكين للعقيدة الإسلامية في حياة الأمة والدعوة إلى التمسك بها في جميع المواقف والأعمال وإبراز فاعليتها في السلوك الإنساني أفرادا وجماعات، وإنما كان له إلى جانب اضطلاعه بهذه الرسالة جهود أخرى في هذا الميدان تمثلت في تصديه بصدق وفاعلية إلى دفع ما استهدف العقيدة الإسلامية من تدجيل المشعوذين وكيد المتعصبين، وهذا موضوع آخر يمكن أن ينهض به بحث آخر.